القصة الدامية التي تركها الشاعر الالهي الساحر — دي موسيه — مع جورج ساند وكيف عبثت بقلبه الرقيق لتعلق بطبيب إيطالي لأنه لا يهمهم في الظلمة ... ولا يحب الخمرة ... مثل موسيه !

لقد يطول بي الحديث إذا أنا مررت بكل ما هنالك من شؤون وعبر . ولكنني مكتف الآن بايراد لمحة وجيزة عن غرام الشاعر المشهور — شارل بودلير — مع حبيبته المعبودة — جان ديفال — التي ألهمته أشجى أشعار الحب والجمال في كتابه الخالد «أزاهير الشر» وهذه الحبيبة التي عشقها طول حياته كانت سوداء !!

وأعتقد أن الشعراء الساخرين ليضحكون من هيام الشاعر اللطيف بامرأة سوداء . نعم قد يضحكون . . ولكنه الغرام ... الغرام القاهر الذي يستحوذ على القلب الضعيف فيقيده بالسلاسل ويغله بالأصفاد

وعلى الرغم من شغف الشاعر ، ولهفة روحه ، وثابت وفائه ، فقد خدعته حبيبته الماكرة بعد أن نحت لها من غرامه تمثالا ومن حبه محراباً للعبادة . ولكن هذا الخداع في الغرام ، وهذه الخيانة في الحب أغنيا الأدب الفرنسي لأنهما أفاضا دموع الشاعر وأوقدا نار وجده وحنينه !

***

أنا لا أريد أن أشجب الحب ، وأن أهجو الغرام كلا ما إلى هذا أذهب . . بل أريد إثبات أنهما موجودان وحسب في كتب الشعراء وتماثيل الحفارين . والشاعر والحفار لا يصوران غالباً إلا كل ما سما في فضاء الأحلام وما تمدد على سرير الشعور والاحساس

الرجل الذي يعتقد خلود الغرام ووفاء الحب هو رجل مسكين يستحق الشفقة . . . إذ لا قبلة يبقى طعمها على الشفاه ، ولا وعود تظل محفوظة ، ولا ذكرى تحيا في القلوب

وجل ما هنالك حب كاذب وغرام خادع شبيهان بالخطوط التي ترسمها الأمواج على رمال الشاطىء فاذا لم تمحها العاصفة لا تلبث الأمواج أن تمحوها . فالحب الذي لا تبدده الحياة يبدد نفسه بنفسه ، والغرام الذي لا يبعثره الموت يبعثر ذاته بذاته

هما حلم يراود الروح في المنام ، ولكن اليقظة تشتته ولا تترك منه إلا أثراً دامياً يحتفظ الأماني ، ويشقى الآمال

(البرلزيل) يوسف البعيني

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

في الجزر السعيدة

ها إن التين يتساقط عن أشجاره عطر النكهة حلو المذاق وقشوره الحمراء تتشقق بسقوطها ، وأنا هو ريح الشمال يهب على هذه الأثمار الناضجة . إن تعاليمي تتساقط إليكم أيها الصحاب كمثل هذه الأثمار فتذوقوها الآن عند ظهيرة من أيام الخريف وقد صفت فوقكم السماء .

سرّحوا أبصاركم فيما حولكم من خيرات الأرض ثم مدوا بها إلى آفاق البحر البعيد فليس أجمل لمن فاض رزقه من أن يتطلع إلى الأبعاد

لقد كان الناس يتلفظون باسم الله عند ما كانوا يسرّحون أبصارهم على شاسعات البحار ، أما الآن فقد تعلمتم الهتاف باسم الانسان الكامل

إن الله افتراض وأنا أريد ألاّ يذهب بكم الافتراض إلى أبعد مما تفترض إرادتكم المبدعة .

أفتستطيعون أن تخلقوا إلهاً ؟ إذن أقلعوا عن ذكر الآلهة جميعاً ، فليس لكم إلا إيجاد الانسان الكامل

ولعلكم لن تكونوا بنفسكم هذا الانسان الكامل ولكن في وسعكم أن تصبحوا آباء وأجداداً له . فليكن هذا التحول خير ما تعملون

إن الله افتراض وأنا أريد ألا يتجاوز بكم الافتراض حدود التصور ، فهل تستطيعون أن تتصوروا إلهاً ؟ فاعرفوا من هذا أنّ واجبكم هو طلب الحقيقة فلا تطمحوا إلى ما يبلغه تصور الانسان وبصره وحسه ، فأمسكوا بتصوركم كيلا يتجاوز حدود حواسكم

يتحتم عليكم أن تبدأوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من قبل فيكون عالمكم من تفكيركم وتصوركم وإرادتكم ومحبتكم

وعندئذ تبلغون السعادة يامَن تطلبون المعرفة . وكيف تطيقون الحياة إذا لم يكن لكم هذا الرجاء ؟

على مَن يطلب المعرفة ألا يتورط فى ما يرده العقل من المعميّات

لسوف أفتح لكم قلبى فلا تخفى عنكم خافية فيه ، فأقول لكم : لو كان هنالك أرباب أكنت أتحمل ألا أكون رباً ؟ إذن ليس فى الكون أرباب

لقد استخرجت لذاتى هذه النتيجة ، وها هى تستخرجنى الآن

إن الله افتراض ولكن من له بتحمل كل ما يضمر هذا الافتراض من اضطراب دون أن يلاقى الفناء ؟ أتريدون أن تأخذوا من الخالق إيمانه ومن النسر تحليقه فى أجواز الفضاء ؟

إن الله عبارة عن إيمان ينكسر به كل خط مستقيم ويميد عنده كل قائم ، فالزمان لدى المؤمن وهم ، وكل فان فى عينيه بطل وخداع ، فهل مثل هذه الأفكار إلا أعاصير تتطاير فيها عظام البشر وتورث الدوار لشاهدها ؟ تلك افتراضات يدور المبتلى بها على نفسه كالرحى حتى يموت

أفليس من الشر والافتيات على الانسانية كل هذه التعاليم تقيم الواحد المطلق الذى لا يناله تحول ولا تغيير ؟

إن الرموز وحدها لا تتغير ، وطالما كذب الشعراء ، غير أن خير ما يضرب من الأمثال ما يصور الحاضر وآتى الزمان فتأتى حجة لكل زائل لا نقضاً له

ليس فى غير الابداع ما ينقذ من الأوجاع ويخفف أثقال الحياة ، غير أن ولادة المبدع تستدعى تحولات كثيرة وتستلزم كثيراً من الآلام

أيها المبدعون ستكون حياتكم مليئة بمرير الميتات لتصبحوا مدافعين عن جميع ما يزول

على المبدع إذا شاء أن يكون هو بنفسه طفل الولادة الجديدة أن يتذرع بعزم المرأة التى تلد فيتحمل أوجاع مخاضها

لقد اخترقت لى طريقاً فى ميتات النفوس والأسرة وأوجاع المخاض غير أنى كثيراً ما نكصت على أعقابى لأننى أعرف ما تقطع الساعات الأخيرة من نياط القلوب .

ولكن ذلك ما تطمح إرادتى المبدعة اليه ، وبتعبير أشد صراحة ذلك هو المقصد الذى تريده إرادتى

إن جميع ما فىّ من شعور يتألم مقيداً سجيناً وليس غير إرادتى من بشير يؤذن بالمسرة ، ويأتى بالافراج عن الشعور

إن الارادة وحدها تحرر ، وما بغير هذه الآية من شرعة صحيحة للارادة وللحرية ، على هذا تقوم تعاليم زارا

بعداً وسحقاً لكل وهن وملال يشل الارادة ويوقف كل تقدير وإبداع

ان طالب المعرفة يشعر بلذة الارادة والايجاد وبلذة استحالة الذات الى ماتحس به فى أعماقها ، فاذا انطوى ضميرى على الصفاء فما ذلك الا لاستقرار ارادة الايجاد فيه . وهذه الارادة هى ما أهاب بى للابتعاد عن الله وعن الآلهة ، اذ لو كان هنالك آلهة لما بقى شىء يمكن خلقه ه

إن طموح إرادتى الى الايجاد يدفعنى أبداً نحو الناس اندفاع المطرقة فوق الحجر

أيها الناس انى ألمح فى الحجر تمثالا كامناً هو مثال الأمثلة أفيجدر أن يبقى ثاوياً فى أشد الصخور صلابة وقبحاً

ان مطرقتى تهوى بضرباتها القاسية على هذا السجن فأرى حجره يتناثر

أريد أن أكمل هذا التمثال ، إن طيفاً زارنى وألطف الكائنات وأعمقها سكوتاً قد اقتربت منى

لقد تجلى بهاء الانسان الكامل لعينى فى هذا الخيال الطارق فما لى وللآلهة بعد : (١)

هكذا تكلم زارا .

الرحماء

لقد بلغنى ، أيها الصحاب قول الناس : « أفما ترون زارا يمر بنا كأنه يمر بين قطيع من الحيوانات »

وكان أولى بهم أن يقولوا : ان من يطلب المعرفة يمر بالناس مروره بالحيوانات

ان طالب المعرفة يرى الانسان حيواناً له وجنتان حمراوان ولم يراه هكذا ؟ أفليس لأنه كثيراً ما علته حمرة الخجل ؟

(١) ونحن نقول بدورنا لنيتشة متخذين قياسنا من قياسه : لو أمكن للانسان أن يخلق شيئاً لما كان هنالك إله ، وبما أن الانسان يقصر عن إيجاد ذرة وخطرة فكر فى طالى المادة والروح فالكائن الأزلى مفروض فرضاً على العاقل وكل قول يخالف هذا القول ثرثرة وجنون . . .

هذا ما يقوله طالب المعرفة أيها الصحاب : ـ ان تاريخ الانسان عار فى عار

ولذلك يفرض الرجل النبيل على نفسه ألا يلحق إهانة باحد لأنه يستحي جميع المتألمين

انى والحق أكره الرُحَماء الذين يطلبون الغبطة فى رحمتهم، فاذا ما قضى على بان أرحم تمنيت أن تُجهل رحمتى والا أبذلها إلا عن كثب . أحب أن أستر وجهى حين اشفاق وأن أسارع الى الهرب دون أن أعرف . فتمثلوا بى أيها الصحاب

ليت حظى يسوقنى أبداً حيث ألتقى بأمثالكم رجال لا يتألمون وفى طاقتهم ان يشاركونى آمالى وولائمى وملذاتى

لقد قمت باعمال كثيرة فى سبيل المتألمين ولكن كنت أرى أن الأفضل من هذا زيادة معرفتى فى تمتعى بسرورى . فان الانسان لم يسر الا قليلا منذ وجوده وما من خطيئة حقيقية الا هذه الخطيئة

اذا نحن تعلمنا كيف نزيد فى مسرتنا فاننا نفقد معرفتنا بالإساءة الى سوانا وباختراع ما يسبب الآلام

ذلك ما يدعونى الى غسل يدى اذا أنا مددتها لمتألم ، بل والى تطهير روحى أيضاً ، لأننى أخجل لخجله وتؤلمنى مشاهدتى لآلامه ولأننى جرحت معزة نفسه بلا رحمة عندما مددت له يدى

ان عظيم الاحسان لا يولد الامتنان بل يدعو الى اخماد الحقد ، واذا تغلب تافه الاحسان على النسيان فانه يصبح دوداً ناهشاً

لاتقبلوا شيئاً دون احتراس ، وحكموا تمييزكم عندما تأخذون. ذلك ما أشير به على من ليس لهم ما يبذلونه للناس

أما أنا فمن يبذلون العطاء وأحب أن أعطى الأصدقاء كصديق؛ أما الأبعدون فليتقدموا من أنفسهم لاقتطاف الأثمار من دوحتى فليس فى اقدامهم على الأخذ ما فى قبولهم العطاء من مهانة لكرامتهم

غير أنه من اللازب أن يقطع دابر المتسولين لأن فى الجود عليهم من الكدر ما يوازى كدر انتهارهم وحرمانهم

وكذلك هو حال الخطاة وأهل الضمائر المضللة فان تبكيت الضمير يحفز الانسان الى النهش وإيقاع الأذى

وشر من كل هذا الأفكار الحقيرة وخير للانسان أن يسىء عملا من أن تستولى المسكنة على تفكيره

انكم تقولون « إن فى التفكير الملتوى كثيراً من الاقتصاد فى شر الأعمال » ، وما يستحسن الاقتصاد فى مثل هذا

ان لشر العمل أكلانا والتهاباً وطفحاً كالقروح ، فهو حر وصريح لأنه يعلن نفسه داء كما تعلن القروح ، فى حين ان الفكرة الدنيئة تختفى كالنواحى الفطر وتظل منتشرة حتى تودى بالجسم كله، ومع هذا فانى أسر فى أذن من تملكه الوسواس الخناس : « إن من الخير أن تدع الوسواس يتعاظم فيك لأن أمامك أنت أيضاً سبيلا يوصلك الى الاعتلاء »

مما يؤسف له أن يكون جهل بعض الشىء خيراً من إدراك كله ؛ غير أن من الناس من يشف حتى تبدو بواطنه ، ولكن ذلك لا يبرر طموحنا إلى استكناه مقاصده . ومن الصعب أن نعيش مع الناس ما دمنا نستصعب السكوت

إن ظلمنا لا ينزل بمن تنفر منه أذواقنا بل يسقط على من لا يعنينا أمره .

وبالرغم من هذا ، إذا كان لك صديق يتألم فكن ملجأ لآلامه ولكن لا تبسط له فراشاً وثيراً بل فراشاً خشنا كالذى يتوسده المحاربون وإلا فما أنت بمجديه نفعاً

وإذا أساء اليك صديق فقل له : انى اغتفر لك جنايتك على ولكن هل يسعنى أن أغفر لك ما جنيته على نفسك بما فعلت ؟

هكذا يتكلم عظيم الحب ، لأنه يتعالى حتى عن المغفرة والاشفاق علينا أن نكبح جماح قلوبنا كيلا تجر عقولنا معها إلى الضلال.

أين تجلى الجنون فى الأرض بأشد مما تجلى بين المشفقين ؟ بل أى ضرر لحق بالناس أشد من الضرر الناشىء عن جنون الرحماء ؟

ويل لكل محب ليس فى محبته ربوة لا يبلغها إشفاقهم

قال لى الشيطان يوماً : إن للرب جحيما هو جحيم محبته للناس

وقد سمعت هذا الشيطان يقول أخيراً : لقد مات الاله وما أماته غير رحمته

احترسوا من الرحمة لأنها لن تلبث حتى تعقد فوق الانسان غماماً متلبداً : وما أنا بجاهل ما تنذر به الأيام

احفظوا هذه الكلمة أيضاً : ـ إن المحبة العظمى تتعامى عن رحمتها فان لها هدفها الأسمى وهو خلق من تحب

ـ إننى أقف نفسى على حبى ، وكذلك يفعل أمثالى : هذا ما يقوله كل مبدع ، والمبدعون قساة القلوب .

هكذا تكلم زارا ...

فليكس فارس